

القرآن الكريم

جعلهُ اللهُ عزَّوجلَّ

مباركاً في تأثيره؛ مباركاً في ثوابه، مباركاً في آثاره

الشيخ

محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

(ت: ١٤٢١)



من مقدمة تفسير القرآن العظيم سورة الزخرف
من ١٣-١٧ ط. مؤسسة الشيخ ابن عثيمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجَعَلَهُ مُبَارَكًا فِي

تَأْثِيرِهِ؛ مُبَارَكًا فِي ثَوَابِهِ، مُبَارَكًا فِي آثَارِهِ:

(١) **مُبَارَكًا فِي تَأْثِيرِهِ؛** يَعْنِي: أَنَّهُ يُؤَثِّرُ عَلَى الْقَلْبِ،

وَيُلِينُ الْقَلْبَ، وَيُكْسِبُهُ خَشْيَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّ

اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى

جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]

سُبْحَانَ اللَّهِ! فَهَذَا وَهُوَ جَبَلٌ حَصْبٌ يَكُونُ خَاشِعًا ذَلِيلًا

وَيَتَصَدَّعُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا بِالْكُمْ بِالْقَلْبِ؟!

لَوْ كَانَ الْقَلْبُ حَيًّا يَكُونُ مِنْ بَابِ أَوْلَى.

ولهذا قال ابنُ عبدِ القويِّ رَحِمَهُ اللهُ:

وَحَافِظٌ عَلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يُلَيِّنُ قَلْبًا قَاسِيًا مِثْلَ جَلْمِدٍ (١)

ومَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يَشْكُونَ قَسْوَةَ قُلُوبِهِمْ الْيَوْمَ؛
لِأَسْبَابٍ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهَا، وَلَكِنْ إِذَا أَحْسُوا
بِقَسْوَةِ الْقَلْبِ فَعَلَيْهِمْ بِالْقُرْآنِ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُلَيِّنَ
قُلُوبَنَا.

وَمِنْ جِهَةِ التَّأثيرِ أَيْضًا: فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ رُقِيَّةٌ مِنْ
كُلِّ دَاءٍ وَكُلِّ مَرَضٍ، فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ دَوَاءٌ لَهُ مِنْ كُلِّ
مَرَضٍ:

المرَضُ القَلْبِيُّ؛ وَهُوَ الشُّبْهَةُ الَّتِي تَرُدُّ عَلَى الْقُلُوبِ،
أَوْ إِرَادَةُ السُّوءِ، شِفَاؤُهَا الْقُرْآنُ.

(١) انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح (٣/ ٥٩٠).

المرَضُ الجِسْمِيُّ العَضْوِيُّ شِفَاؤُهُ القُرْآنُ، وقد

نَزَلَ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَلَى قَوْمٍ مِنَ
الْأَعْرَابِ، نَزَلُوا ضُيُوفًا، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْعَرَبَ لَمْ
يُضَيِّقُوا الصَّحَابَةَ، أَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمْ، فَتَنَحَّى الصَّحَابَةُ
إِلَى جَانِبٍ، وَنَزَلُوا، فَسَلَّطَ اللهُ عَلَى سَيِّدِ الْعَرَبِ عَقْرَبًا
فَلَدَغَتْهُ وَالْمَتَّةُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى
هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَعَلَّ فِيهِمْ مَنْ يَقْرَأُ؟! فَاتَّوَا إِلَى الصَّحَابَةِ
فَقَالُوا: إِنَّ سَيِّدَهُمْ لُدِغَ، فَهَلْ فِيكُمْ مِنْ قَارِيٍّ؟ قَالُوا:
نَعَمْ، فِينَا قَارِيٌّ، وَلَكِنَّا لَنْ نَقْرَأَ عَلَيْهِ - عَلَى هَذَا
الْمَرِيضِ - إِلَّا بِقَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ - لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْعَرَبَ لَمْ
يُكْرِمُوهُمْ، فَأَرَادُوا أَنْ يَأْخُذُوا حَقَّهُمْ مِنْهُمْ - قَالُوا:
وَلَكُمْ ذَلِكَ. فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى هَذَا اللَّدِغِ،
وَجَعَلَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ الْفَاتِحَةَ حَتَّى قَامَ كَأَنَّهُ نَشِطٌ مِنْ

عِقَالٌ^(٢) وَالسَّمُّ قَدْ سَرَى فِي جِسْمِهِ، لَكِنَّ زَالَ هَذَا
وَوَطَّابٌ؛ فَهَذَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ.

وَمَا أَكْثَرَ مَا نَقَرَأُ الْفَاتِحَةَ وَغَيْرَ الْفَاتِحَةِ وَالْمَرِيضُ
كَمَا هُوَ فِي مَرَضِهِ، فَلَمَّا ذَا وَالْآيَةُ وَاحِدَةٌ؟

الجواب: لِأَنَّهُ كَمَا يُقَالُ: السَّيْفُ بَضَارِبِهِ، فَالسَّيْفُ
حَدِيدٌ قَاطِعٌ، لَكِنَّ إِذَا كَانَ مَعَ الْجَبَانِ لَا يَنْفَعُهُ، رُبَّمَا إِذَا
رَأَى الْعَدُوَّ مُقْبِلًا عَلَيْهِ أَلْقَى بِالسَّيْفِ وَهَرَبَ، لَكِنَّ إِذَا
كَانَ بِيَدِ الشُّجَاعِ فَإِنَّهُ يَنْفَعُ وَيُدَافِعُ عَنِ نَفْسِهِ وَيَقْتُلُ
عَدُوَّهُ.

وَلِهَذَا يُذَكَّرُ عَنْ رَجُلٍ كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ
رَحِمَهُ اللهُ يَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَكَانَ بِهِ صَرَعٌ مِنَ الْجِنِّ، فَيَخْرُجُ

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْإِجَارَةِ، بَابُ مَا يُعْطَى فِي الرِّقَةِ، رَقْمٌ (٢٢٧٦)، وَمُسْلِمٌ:
كِتَابُ السَّلَامِ، بَابُ جَوَازِ أَخْذِ الْأَجْرَةِ عَلَى الرِّقَةِ، رَقْمٌ (٢٢٠١)، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ
الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الجنُّ، ولَمَّاتَ الإِمَامَ أَحْمَدُ عَادَ الْجِنِّيُّ، فَقَامَ رَجُلٌ يَقْرَأُ
عَلَى هَذَا الْمَصْرُوعِ بِمَا كَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ يَقْرَأُ بِهِ، وَلَكِنَّ
الصَّارِعَ أَبِي أَنْ يُخْرَجَ، وَأَجَابَ بَأَنَّ الآيَةَ هِيَ الآيَةُ
وَالْقَارِئُ غَيْرُ الْقَارِئِ. فَلَا تَظَنَّ إِذَا لَمْ تَجِدْ تَأْثِيرَ الْقُرْآنِ
مُبَاشَرَةً أَنْ الْقُرْآنَ غَيْرُ مُؤَثِّرٍ، وَلَكِنَّ الْقَارِئَ غَيْرُ مُؤَثِّرٍ.

(٢) وَمُبَارَكٌ فِي آثَارِهِ؛ فَقَدْ فَتَحَ الْمُسْلِمُونَ مَشَارِقَ

الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا بِالْقُرْآنِ، أَي: بِالْعَمَلِ بِالْقُرْآنِ؛ وَهَذَا
قَالَ اللهُ سُيْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾

جَاهِدْهُمْ بِالْقُرْآنِ ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان]، فَتَحُوا
مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا بِالْقُرْآنِ حِينَ كَانَ الْقُرْآنُ
بِالْيَدِ الْيُمْنَى وَالسَّيْفُ بِالْيَدِ الْيُسْرَى.

وَالآنَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَمَالِكِ الإِسْلَامِيَّةِ بِيَدِهَا الْقَانُونُ
الْوَضْعِيُّ بَدَلًا عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ

التَّأخُّرُ؛ فَالتَّأخُّرُ وَالدُّلُّ فِي الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِسَبَبِ
عَمَلٍ مَنْ يَتَسَبَّبُونَ إِلَيْهَا، فَالذَّنْبُ -إِذَنْ- فِي تَأخُّرِ
المُسْلِمِينَ اليَوْمَ لَيْسَ ذَنْبَ الإِسْلَامِ، وَلَكِنْ ذَنْبُ
المُسْلِمِينَ.

فَمِنْ آثَارِ القُرْآنِ الكَرِيمِ إِذَنْ: أَنْ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ فَهُوَ
مَنْصُورٌ، وَالشَّاهِدُ مَا سَبَقَ لِسَلْفِنَا الصَّالِحِ.

٣) وَهُوَ أَيْضًا مُبَارَكٌ فِي ثَوَابِهِ: فَالحَرْفُ الوَاحِدُ فِيهِ
حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بَعَشْرُ أَمْثَالِهَا، وَمَا أَكْثَرَ حُرُوفِ
القُرْآنِ!

وَبِهَذِهِ المُنَاسِبَةِ عَرَضَ عَلَيَّ فِي الرِّيَاضِ فِي الأُسْبُوعِ
المَاضِي إنْسَانٌ وَرَقَّةٌ مَكْتُوبَةٌ فِيهَا: الإِعْجَازُ العَدَدِيُّ فِي
القُرْآنِ، جَدُولٌ ذَكَرَ فِيهِ أَنْ جَمِيعَ حُرُوفِ القُرْآنِ كُلُّهَا
تَقْبَلُ القِسْمَةَ عَلَى تِسْعَةِ عَشَرَ إِذَا جُمِعَتْ، وَلَكِنْ هَذَا

افتراءً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمُنَاقِضٌ لِلوَاقِعِ، وَلَا يَجُوزُ
تَدَاوُلُ هَذِهِ البَطَاقَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَشْهَدَ أَنَّ
اللَّهَ تَعَالَى تَكَلَّمَ بِالقُرْآنِ بِحَيْثُ تُكُونُ حُرُوفُهُ مُنْقَسِمَةً
عَلَى تِسْعَةِ عَشَرَ، مَنْ يَقُولُ هَذَا؟ ! لَكِنَّهُ افْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ.

ثُمَّ إِنَّ حُرُوفَ القُرْآنِ الكَرِيمِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا
تَنْقَسِمُ عَلَى تِسْعَةِ عَشَرَ مَعَ اخْتِلَافِ القِرَاءَاتِ؛ فَمَثَلًا
﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ
بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، والقِرَاءَةُ الثَّانِيَةُ «فَتَشَبَّهُوا» إِذْ
اخْتَلَّتْ؛ أَتَتْ الثَّاءُ بَدَلًا عَنِ البَاءِ «فَتَشَبَّهُوا» وَبَدَلًا عَنِ
النُّونِ، فَاخْتَلَّتِ القِسْمَةُ.

كَذَلِكَ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ: «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ»
﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] اخْتَلَّتْ؛ زَادَ حَرْفٌ.

لَكِنْ هَؤُلَاءِ الْمَشْغُوفُونَ بِمَا يَدَّعُونَ أَنَّهُ ذِكَاؤُهُمْ، وَأَنَّهُمْ
اطَّلَعُوا عَلَى مَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَأْتُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ
الْخُرَافَاتِ؛ لِيَصُدُّوا النَّاسَ عَنِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي
جَاءَ مِنْ أَجْلِهَا الْقُرْآنُ، فَهَلِ الْقُرْآنُ جَاءَ لِيُحْصِيَ النَّاسَ
الْعَدَدَ وَيُقَسِّمُونَهُ عَلَى تِسْعَةِ عَشَرَ؟ لَا، وَاللَّهِ! وَلَا
يُمْكِنُ أَنْ يَنْزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْمُعْجَزَةِ
كَمَا يَقُولُونَ، مَعَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مُعْجَزَةً، فَهِيَ **فَاشِلَةٌ بَاطِلَةٌ**.
وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُنَبِّهَ عَلَى هَذَا لِأَنَّ رُبَّمَا تَشِيعُ؛ لِأَنَّ
الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهَا يُرِيدُ أَنْ يَطْبَعَ مِنْهَا الْمَلَائِكَةَ وَيُوزِعَهَا
عَلَى النَّاسِ، وَيَقُولُ: انظُرُوا إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. فَتَقُولُ:
هَذَا غَلَطٌ، فَالْقُرْآنُ مَا نَزَلَ لِهَذَا الْمَعْنَى، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ
يُرَادَ بِهِ هَذَا الْمَعْنَى، **فَانْتَبَهُوا لِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي**

تُنشَرُ، فَقَدْ تَكُونُ مِنْ مُلْحِدِ كَافِرٍ أَوْ فَاسِقٍ فَاجِرٍ يُرِيدُ
بِهَاصِدِّ النَّاسِ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ.